دراسة الأنثروبولوجيا من وجهة نظر الدين

د.بوشيخاي أسمهان – جامعة وهران
د. حسن عالي– جامعة سعيدة

يوجد علمان مهمان لدراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية هما: علم الأركيولوجيا (علم الآثار) وعلم الأنثروبولوجيا، الأول يختص بدراسة الفترات التاريخية في حياة المجتمعات والثقافات[1]، ورسم صورة تاريخية عن الثقافات القديمة من خلال التنقيب في الحفريات، ولكنّا نقتصر في دراستنا عن الأنثروبولوجيا وعلاقات التماس والتضاد مع الدين أو نقاط الالتقاء والاختلاف مع الأديان، وخاصةً ما يتعلق بدين الإسلام..

لذلك، فإن البحث سينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالأنثروبولوجيا وأهدافها ووسائلها.

المبحث الثاني: الأنثروبولوجيا ومشاكل الإنسان المعاصر.

المبحث الثالث: الدين والأنثروبولوجيا.. الالتقاء والاختلاف.

المبحث الأول:

الأنثروبولوجيا.. تعريف ومجالات الاهتمام:

كلمة "الأنثروبولوجيا" تتكون من مقطعيْن من الكلمة الإغريقية Anthropo وتعني الإنسان، وLogy وتعني العلم، وبهذا يكون مصطلح الأنثروبولوجيا هو: علم الإنسان أو دراسة الإنسان[2].

و الأنثروبولوجيا تتقاطع مع العلوم الاجتماعية الأخرى المعنية بدراسة الإنسان مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، ولكن الأنثروبولوجيا تهتم بسلوك الإنسان كعضو في مجتمع.

و الأنثروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس أو أي حقبة من الحقب التاريخية، بل هو يدرس كلاً من التطور البنائي للبشرية، ونمو الحضارات، كذلك يوجه اهتمامًا خاصًّا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة، ثم يعمد كذلك إلى كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى [3].

وتدرس الأنثروبولوجيا أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها، فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء تلك الثقافة في المجتمعات القديمة أو المعاصرة على السواء؛ لأن هذه الثقافات القديمة والحديثة تكشف عن استجابات الناس، _المتمثلة في الأشكال الثقافية_، للمشكلات العامة التي تطرحها دومًا البيئة المادية (الطبيعية)، وعن محاولات الناس الحياة والعمل معًا، وتفاعلات المجتمعات الإنسانية بعضها مع بعض[4].

كذلك تهتم الأنثروبولوجيا في جوانبها النظرية بمشكلة تفسير أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الثقافات الإنسانية، وقد يتناول الباحث تلك المشكلة تاريخيًّا، فيحاول أن يتلمس في تاريخ شعب معيّن ــوخاصة في اتصاله أو عدم اتصاله بشعوب أخرىــ أسباب أوجه الشبه والاختلاف، أو قد يعتمد المقارنة المنهجية المنظّمة بين الثقافات، وبعضها ليتوصل إلى تحديد بناء الثقافات، وكيفية أدائها لوظائفها، وقد تقوده مثل تلك الدراسات إلى تفسيرات لأوجه التشابه الواسعة الانتشار وعلى أوجه الاختلاف النوعية الخاصة[5].

كذلك يوجه علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية اهتمامهم نحو الدور الذي يؤديه الفرد في المجتمع، ثم نحو موضوع ارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي، فحاولوا الإجابة عن مشكلات مثل دور الفرد الذي يلعبه في بعض العمليات الثقافية كالاختراع والاستكشاف وانتشار أو نشر السمات الثقافية، وهي العمليات التي تؤدي إلى نمو وتطور الثقافة، أيضًا ما هي الوسائل التي تحاول المجتمعات البشرية من خلالها تشكيل الشخصية الفردية، وليس ذلك فقط؛ بل ما أنواع السلوك التي تحبذها الثقافة وتكافئ الفرد عليها، وتلك التي لا تحبذها، أو على أي مدى يمكن أن يبتعد الفرد عن المعايير الثقافية للسلوك المقبول، وما الذي يُتخذ حيال الفرد الذي يكسر القواعد[6].

فالأنثروبولوجيا إذًا تتعامل مع الفرد وسلوكه، ومن ثَمّ فإنها تتقاطع مع الدراسات الاجتماعية والفلسفية والاقتصادية والسياسية والقانونية، فالفرد أو الإنسان هو محور كل هذه الدراسات.

ولكن على الرغم من أن الأنثروبولوجيا تُعتبر عادةً ــوبحقــ علمًا اجتماعيًّا تربطه علاقات أوّلية مع العلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا والاقتصاد والسياسة، فإنه مع ذلك ليس منعزلاً بأي حال من الأحوال عن العلوم البيولوجية والدراسات الأدبية والفنية..

ولعلنا قد أدركنا موضوع صلة الأنثروبولوجيا ــمن خلال الأنثروبولوجيا البيولوجيةــ مع بعض العلوم كعلم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الأجنّة، وعلم الوراثة؛ ذلك أن الأنثروبولوجي البيولوجي يُعتبر إلى حدٍّ ما عالِمًا بيولوجيًّا يركز اهتمامه على الإنسان.

إلا أن هناك صلةً على نفس القدر من الأهمية بين الأنثروبولوجيا من ناحية وبعض الدراسات الإنسانية من ناحية أخرى، كعلم التاريخ، ودراسة الأدب، ودراسة الفنون، ودراسة الموسيقى؛ ذلك أن هذه العلوم الإنسانية شأنها شأن علوم الاثنولوجيا والأركيولوجيا واللغويات، تهتم بفهم وبتذوق الثقافات الإنسانية المختلفة.

ثم إن الأنثروبولوجيا ترتبط ببعض العلوم الأخرى، بمعنى أنها لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه من تطور إلا بعد أن حققت تلك العلوم درجةً معيّنةً من النضج والتقدم.

ولم يكن من الممكن تكوين فكرة حقيقية عن عمر الإنسان وثقافته إلا بعد أن أمدّتنا الجيولوجيا بتقويم أو بتتابع زمني نستطيع أن نقيس به عمر الإنسان بدقة.

كذلك كان لا بدّ أن يستقر كل من علم الحفريات القديمة، وعلم الحيوان، ويصل إلى درجة من اليقين في نتائجها قبل أن نستطيع فهم طبيعة الإنسان، وفهم علاقته بالحيوانات الأخرى.

وما زالت هذه الصلات قائمةً وحيّةً بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى، وخاصة بالنسبة للأنثروبولوجيا البيولوجية وعلم الآثار، وأصبحنا نشهد اليوم قدرًا متزايدًا من التعاون في حلّ المشكلات التي تهم تلك العلوم جميعًا[7].

فعلى دارس الأركيولوجيا أن يستخدم مناهج دراسة الطبقات الجيولوجية دراسةً علميّةً (وهي عبارة عن تحديد العمر النسبي لطبقات المواد المختلفة عن طريق ترتيبها في ترسيبات معيّنة)، لكي يحدد العمر النسبي للثقافات المختلفة، مع ملاحظة أمر هام فارق بينهما وهو: أن الأركيولوجي يعمل في إطار مدى زمني أقصر بكثير، ولكنه يهتم بقدر من التفاصيل أكبر بكثير مما يهتم به دارس الجيولوجيا.

وتبدو هذه العلاقة أكثر وضوحًا عند الأركيولوجي، ثقافاتٍ موغلةً في التقدم؛ ذلك أن الأركيولوجي ظل حتى عهد قريب يعتمد في مثل هذه الحالات اعتمادًا شِبْه كلي على الجيولوجي، وعلى المتخصص في علم الحفريات القديمة، لكي يحدد عمر الأشياء التي يعثر عليها.

وقد يستطيع الجيولوجي أن يحدد أن بعض البقايا الثقافية التي عثر عليها في بعض الشقوق الأرضية أو في بعض الترسيبات أو في بعض الطبقات الأرضية تنتمي إلى عصر جيولوجي معيّن.

كذلك قد يستطيع عالِم الحفريات القديمة في بعض الظروف أن يحدد هو الآخَر العصر الجيولوجي الذي تنتمي إليه تلك الترسيبات؛ وذلك من خلال فحص عظام الحيوانات التي يتم العثور عليها إلى جانب المواد الثقافية.

وقد قدّم علماء الكيمياء والفيزياء في السنوات الأخيرة طرقًا جديدةً للمساعدة في تحديد الأعمار بدقة.

وكذلك يعتمد دارس الأنثروبولوجيا البيولوجية على الجيولوجي، ويعتمد عليه أيضًا دارس الحفريات القديمة في تحديد عمر البقايا العظمية لإنسان ما قبل التاريخ.

ومن الممكن حل كثير من المشكلات العلمية الراهنة المتعلقة بتطور الإنسان لو أن الجيولوجي ودارس الحفريات القديمة استطاعا أن يحددا بدقة عمر البقايا الحفرية الإنسانية التي يتم العثور عليها.

كذلك يستخدم الأنثروبولوجي البيولوجي معايير التصنيف التي يضعها كل من عالِم النبات والحيوان.

كذلك ترتبط الأنثروبولوجيا البيولوجية ارتباطًا وثيقًا بعلم التشريح وغيره من ميادين الدراسة الطبية.

وهناك نمط ثانٍ من العلاقة المتبادلة بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى، وهو يتمثل في استخدام تقنيات أو نتائج بعض العلوم الأخرى في حل مشكلات معيّنة..

من هذا على سبيل المثال: أننا لا يمكن أن نفهم نظام التقويم (الحساب الزمني) عند الشعوب البدائية إلا من خلال الانتفاع ببعض المعلومات التي يقدمها علم الفلك.

كذلك تُستخدم مناهج الكيمياء والفيزياء على نطاق واسع في دراسة المصنوعات الخزفية التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ لتحديد تقنيات صناعتها وتعرف المواد الأصلية الداخلة في صنعها.

كذلك قد يقرر أخصائي التعدين أن الأداة الحجرية المعيّنة يكون قد عُثر عليها في موقع معيّن مصنوعةً من مادة مجلوبة من مسافات معيّنة.

ونشير في هذا الصدد إلى أن اكتشاف أحد الأنماط الأساسية من إنسان ما قبل التاريخ (وهو إنسان بكين) قد جاء نتيجة العثور على قطعة من حجر الكوارتز في موضع يبعد نحو ألف وستمائة كيلو متر عن أقرب ترسيبات كوارتز في المنطقة.

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا معلومات كلٍّ من عالِم النبات والحيوان للوقوف على مدى انتفاع الشعوب البدائية بإمكانات وموارد البيئات التي يعيشون فيها أو لإعادة رسم صورة البيئة التي تمّت فيها ثقافة إنسان ما قبل التاريخ.

بل إن الهندسة تتصل بالعمل الأنثروبولوجي وتلعب فيه بعض الدور؛ ذلك أن كل أركيولوجي يجب أن يعرف كيف يمسح موقعًا أركيولوجيًّا معيّنًا، وكيف يعد الخرائط. ويستعين علماء هذه الفروع بالمهندسين المعماريين في حل المشكلات المتعلقة ببناء البيوت والمباني المختلفة، كما يستعينون بالمتخصصين في علم العقاقير لتوضيح المشكلات المتعلقة بالكشف عن نوعية السموم التي كانت تُستخدم في سهام الشعوب البدائية.

لذلك يجب على دارس الأنثروبولوجيا أن يكون واعيًا بالإمكانيات التي تقدّمها له علوم كثيرة، ولن يكون مستعدًّا للاستعانة بالمتخصصين في تلك العلوم لحل ما يواجهه من مشكلات في موضوعات دراسته المختلفة.

أمّا النمط الثالث من العلاقة بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى: فيمكن أن نصفه بأنه نوع من التداخل والاعتماد المتبادل فيما يتعلق بالمشكلات والتقنيات والمناهج والنظريات، ففي هذا النوع من العلاقة لا تقتصر الأنثروبولوجيا على مجرد الانتفاع بالمعلومات

أو التقنيات التي تستعيرها من علوم أخرى، وإنما هي تلعب دورًا خاصًّا أساسيًّا في تطوير التقنيات والنظريات، وحل المشكلات المشتركة بينها وبين تلك العلوم، ونجد علاقات من هذا النوع بين الأنثروبولوجيا وبعض فروع علوم الحياة، والدراسات الأدبية والفنية، والعلوم الاجتماعية.

ولقد ارتبطت الأنثروبولوجيا منذ تاريخها القديم ارتباطًا وثيقًا بعلم الحياة [8]، ولعل هذا الموقف يرجع إلى تطبيق المفهومات التطورية في النظريات الأولى التي وضعها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الأوائل، كما يرجع إلى التطور السريع الذي قطعته الأنثروبولوجيا البيولوجية في مراحلها الأولى.

وعلى الرغم من أن المفهومات البيولوجية عن التطور لم تعد تُستخدم في الأنثرووولوجيا الثقافية إلا أن فهم التركيب البيولوجي للإنسان يمثّل شرطًا أساسيًّا وعنصرًا جوهريًّا من عناصر نظرية الثقافة، حقيقة أن الثقافة أكبر من أن تكون ظاهرةً بيولوجيّةً، إلا انه يبدو لنا من الواضح أن كل مجتمع يحاول من خلال ثقافاته أن يشبع الاحتياجات البيولوجية والسيكولوجية الأساسية عند الإنسان.

وقد تؤدي الثقافة في بعض الأحيان ومن خلال نفس الوسائل إلى تعديل تأثير العوامل البيولوجية تعديلاً عميقًا وجوهريًّا؛ فدراسة الثقافة ودراسة البيولوجيا الإنسانية دراستان متداخلتان ومترابطتان باستمرار.

أمّا علاقات الأنثروبولوجيا بعلم النفس: فقد كانت في الماضي دون ما نتوقعه من قوة وعمق، حقيقةَ أنّ كلا الميدانيْن يهتم بمشكلات السلوك، إلا أننا نجد أن علماء النفس ظلوا لفترة طويلة من تاريخهم يقصرون اهتمامهم على مشكلات السلوك الفردي في

المقام الأول، على حين كان الأنثروبولوجيون يميلون إلى وضع تصميمات جماعية على أسس ثقافية.

وصحيح كذلك أن الدراسات المقارنة التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا قد ساعدت على تقويض بعض نظريات "الغرائز" التي كانت شائعةً قديمًا في علم النفس، إلا أن العلاقات الوثيقة بين كل من الأنثروبولوجيا وعلم النفس لم تكن تتكون وتنمو إلا بعد أن وجه علماء الأنثروبولوجيا اهتمامهم إلى موضوع العلاقة بين الثقافة والفرد.

وقد ظهر الاهتمام بمشكلات الأفراد في الأنثروبولوجيا في الوقت الذي كان علماء النفس يركزون فيه على مشكلات السلوك الحيواني، ونتيجةً لهذا أخذ الأنثروبولوجيون يوجهون اهتمامهم إلى المتخصصين في التحليل النفسي والطب النفسي، يستمدون منهم مفاهيمهم النفسية، وما زال هذا الاتجاه واضحًا في الدراسات الأنثروبولوجية، ومع انتعاش الاهتمام من جديد بمشكلات علم النفس البشري في السنوات الأخيرة نتوقع مزيدًا من التفاهم والتفاعل بين العمَلين.

ولقد كان تطوير مفهوم الثقافة والتأكيد على أن كلّ ثقافة تمثّل كيانًا كلِّيًّا متكاملاً هي الإسهامات الأساسية التي قدمتها الأنثروبولوجيا للعلوم الاجتماعية، هكذا أصبحت فكرة الثقافة والتكامل الثقافي تراثًا مشتركًا لدى علوم التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع على الرغم من أنها لا تُستخدم على نطاق واسع في علمَي الاقتصاد والسياسة.

ولقد أصبحنا نجد بالفعل علمًا كالجغرافيا البشرية يعتمد على مفهوم الثقافة، وكما يقول فورد: إن الجغرافي الذي ليس على دراية وثيقة بثقافة شعب البلد الذي يدرسه أو بالدروس المستمدة من الأثنولوجيا كعلم، سوف يجد نفسه بمجرد أن يبدأ بدراسة

المحركات الرئيسية للنشاط البشري يتلمس طريقه على غير هدى بحثًا عن عوامل جغرافية لا يستطيع أن يزن أهميتها الوزن الصحيح؛ فالجغرافيا البشرية تتطلب درايةً بالإنسان بنفس درجة الدراية بالجغرافيا.

وإن كان علماء الأنثروبولوجيا لا يقرون بنفس الدرجة من الوضوح أن فهم العوامل الجغرافية مهم بنفس القدر في دراسة النشاط الإنساني في أي مجتمع.

أمّا عن العلاقات بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع: فإنها لم تتطور بعد إلى المدى الذي كان ينبغي أن تصل إليه، ونجد كثيرًا من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع قد أدركوا منذ أمد بعيد أن هناك كثيرًا من الوشائج التي تجمع بين العِلْمين، حقيقة أن موضوع الدراسة في كلا العِلْمين كان مختلفًا بعض الشيء؛ حيث كانت الأنثروبولوجيا تركز اهتمامها الأول على دراسة الشعوب البدائية البسيطة المنعزلة، بينما كان علم الاجتماع يركز اهتمامه الأساسي على دراسة الحضارة الأوروبية الغربية..

وقد أدى هذا الاختلاف الموضوع على أوجه اختلاف في مناهج الدراسة؛ فالأنثروبولوجي الذي يدرس جماعةً صغيرة الحجم نادرًا ما يحتاج إلى أن يشغل نفسه بمشكلات العيّنة على سبيل المثال، كذلك نجد أن كشف الأسئلة، ــوهو أحد أدوات البحث الهامة في يد رجل الاجتماعــ، لم يُستخدم على نطاق واسع في الدراسات الأنثروبولوجية.

إلا أننا نجد من ناحية أخرى أن المشكلات الأساسية في كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع تصل إلى درجة من التشابه تجعل من المحتم في النهاية على كلا العلْمين أن يصل إلى نظرية متقاربة[9]، هذا إن لم يكن نظرية واحدة بالنسبة لكليهما.

وقد أصبح مفهوم الثقافة يُستخدم على نطاق واسع عند علماء الاجتماع، وقد أثبت في هذا الصدد أنه أداة بحث هامة ومفيدة.

ويحرص كل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بدرجة متزايدة على أن يستفيد في وضع نظرياتهما بالمادة التي يقدمها كل منهما.

وأصبح الأنثروبولوجي يرى أن وظيفته الأساسية هي خلق قدر من التكامل بين العلوم المختلفة التي تدرس الإنسان، وأصبحت معظم العلوم التي تدرس الإنسان تتجه إلى تركيز اهتمامها على جانب محدد من جوانب الحياة الإنسانية؛ فالأنثروبولوجيا تركز اهتمامها على المشكلات العامة الكلية الشاملة، خاصة من خلال مفهوم الثقافة، فبينما يركز عالِم الاقتصاد ــعلى سبيل المثالــ على رؤية مشكلاته كجزء من نسق فكري وسلوكي معزول، نجد رجل الأنثروبولوجيا يهتم ببناء الثقافة الكلية ويحاول إدراك علاقات التفاعل بين النظم الاقتصادية وغيرها من جوانب الثقافة.

كذلك أسهمت الأنثروبولوجيا بإمداد العلوم المختلفة التي تدرس الإنسان بقدر كبير من الموضوعية والنسبية بالنظر إلى الظروف الإنسانية، فمن خلال دراسة نماذج متنوعة متباينة من الثقافات والتي تختلف عن الثقافات الغربية اختلافًا بعيدًا أصبح من الممكن رؤية الجوانب غير العقلية في الثقافة الأوروبية والأمريكية، وأصبحنا لا ننظر إلى أنماط السلوك التي لا تختلف عن الأنماط الغربية على أنها أقل تقدمًا أو أقل منطقيّةً، وإنما أصبحنا ننظر إليها باعتبارها حلولاً بديلةً لمشكلات إنسانية عامة.

كذلك أصبحنا ننظر إلى أساليب السلوك وإلى النظم الاجتماعية التي لم تكن تحمل لنا بالنسبة لذاتها معنى معيّنًا على أنها تمثّل أجزاء من كيانات كلية متكاملة، وعلى أنها

تشكّل بالضرورة أجزاء لازمة من ثقافات معيّنة، وأصبحنا ننظر إلى أنماط سلوكية أخرى على أنها استجابات لا مفر منها من التأثير الثقافي في الأفراد.

المبحث الثاني:

الأنثروبولوجيا ومشاكل الإنسان المعاصر:

إن علاقة الأنثروبولوجيا بالعالم المعاصر ذات طبيعة متنوعة؛ فهي تضم تأثير الأنثروبولجيا في الطريقة التي ينظر بها الإنسان إلى نفسه وزملائه، وكذلك العالم الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه.

ويرتبط بذلك الطرق التي بمقتضاها يفسر الأنثروبولوجيون ثقافتهم والثقافات الأخرى استنادًا إلى خبراتهم والنتائج التي يتوصل إليها علمهم.

وهناك مجموعة أخرى من المشكلات تضم الوسائل التي من خلالها يوجه الأنثروبولوجيون بحوثهم نحو حل المشكلات المعاصرة أو تلك التي تفرض نفسها في البرامج التطبيقية وتتطلب حلاً.

وهناك أيضًا مجموعة أخرى من العلاقات تتعلق بالمكانة الحالية والمقبلة للأنثروبولوجيا، وهي علاقات تؤثر في الإسهامات الممكنة التي يقدّمها هذا العلم من أجل تحقيق الرفاهية الإنسانية.

وفي هذا المبحث سنتناول ــبشيء من الإيجازــ عددًا قليلاً فقط من هذه المشكلات..

وربما كان أعظم وأخطر التأثيرات التي أحدثتها الأنثروبولوجيا هو إسهامها في تغيير النظرة إلى طبيعة الإنسان ذاته؛ ففي الفكر الغربي ــعلى وجه الخصوصــ سادت نظرة

مؤداها أن الإنسان هو مركز الكون، وأن هذا الكون قد خُلق لإشباع لذاته، ولكي يستغله، على أن وجهة النظر المقابلة، ــالتي مؤداها أن الإنسان يمثّل جزءًا مكمّلاً للطبيعة، وأن عليه العيش معها في انسجامــ، قد ازدادت تأثيرًا وأصبحت تشكّل جزءًا من الأساس الفلسفي المجرد الذي ينهض عليه الاهتمام الحديث بالأيكولوجيا.

أمّا التأثير الهام الذي طرأ على هذه النظرات المتغيرة: فيتمثل في مفهوم أنثروبولوجي هو الثقافة، وهو مفهوم يلقى الآن قبولاً عامًّا بوصفه مجالاً لاتفاق معظم العلماء الاجتماعيين، فضلاً عن أن هذا المفهوم قد أصبح مألوفًا ــوبشكل متزايدــ بالنسبة للعلماء الاجتماعيين الآخرين.

وباستخدام الأنثروبولوجيا لمفهوم الثقافة، فإنها (أي الأنثروبولوجيا) وكما يقول كلوكهوهن[10] تضع أمام الإنسان مرآةً تمنحه صورةً أوضح لنفسه ولقرنائه.

وتسهم الأنثروبولوجيا في فهم نشأة المجتمع وطبيعة وظائفه ومنظماته، كما توضح دوافعنا وسلوكنا، فضلاً عن دوافع الآخرين وسلوكهم.

ويزداد تأثير الأنثروبولوجيا وضوحًا في ميادين الفلسفة والآداب والسياسة.

على أن النتائج الأنثروبولوجية الأكثر واقعيّةً قد تركت تأثيرًا أقل.

ولقد أوضحت الأنثروبولوجيا الوحدة الضرورية للجنس البشري، كما أن الأنثروبولوجيين قد أكدوا الزيف والأخطار الاجتماعية التي تنطوي عليها النظرة العنصرية في بحوثهم وتدريسهم، وكذلك التصريحات العامة المتكررة.

كذلك أوضحت البحوث الحضارية المقارنة أنه على الرغم من أن الكائنات الإنسانية تواجه مشكلات مشتركة إلا أن الحلول الثقافية لهذه المشكلات متنوعة.

ولقد أصر الأنثروبولوجيون على تكامل وشرعية الأنساق الثقافية المختلفة، كما طالبوا بضرورة الفهم والتسامح، وعلى الرغم من النجاح الذي تم إحرازه فإن التعصب العنصري واحتقار ثقافات الشعوب الأخرى لا يزالان قائمَين بشكل واضح، حيث يشكّلان تهديدًا للسلام والهدوء الداخلي للأمم.

إن الإلمام بالعمليات الثقافية من شأنه تطوير فهمنا لسلوك الشعوب الأخرى ومساعدتنا على التصرف بالطريقة التي تمكّننا من إقامة علاقات طيبة مع هذه الشعوب.

ويحتل مفهوم النسبية الثقافية أهميّةً خاصّةً، وأعني به الاعتراف بأنه حينما تستجيب شعوب أخرى بطريقة مختلفة فإنها لا تستجيب عن غباء أو خبث؛ فالكائنات الإنسانية في كل مكان ــوعلى نحو ما رأيناــ تواجه أساسًا أنواعًا متماثلةً من المشكلات، وعَبْر آلاف عديدة من السنين توصلت هذه الكائنات الإنسانية إلى حلول للمشكلات تختلف عن الحلول التي توصلنا إليها، وترتبط هذه الأنماط السلوكية المحددة عَبْر التاريخ ارتباطًا وثيقًا لتشكّل كُلاً ثقافيًا يبرر بالنسبة لمن ينتمون إليه أفعالهم وأفكارهم ومعتقداتهم بل ويجعلها مقبولةً..

إن ما يبدو لنا غير أخلاقيّ قد يبدو صحيحًا وسليمًا بالنسبة لشعوب أخرى، وعلى العكس من ذلك فإن كثيرًا مما نعتبره صحيحًا وسليمًا قد يبدو بالنسبة لشعوب أخرى غير أخلاقيّ..

فعلى سبيل المثال: يعتقد ملايين الناس الذين يعيشون في الهند أن قتل الحيوانات من أي نوع ــباستثناء أكل لحومهاــ شيء شرير، ولقد قال رئيس إحدى القبائل الإفريقية

ذات مرة: إن الأوروبيين لا بد وأن يكونوا شريرين؛ لأنهم يقتلون ملايين الناس في الحروب دون أن يكون هدفهم من ذلك استخدام لحوم القتلى في الطعام.

وبالنسبة لكثير من الشعوب غير المتعلمة فإنه يصعب تصديق أن بعض الناس في مجتمع ما مثل الولايات المتحدة يعيشون حالة المجاعة، في حين أن لدى البعض الآخر طعامًا وفيرًا.

ومهما تكن قوة مسوغاتنا فإنها لا تستطيع أن تُقنع هذه الشعوب بأنها خاطئة، وعكس ذلك صحيح أيضًا؛ فقد يجد الكثير منا صعوبةً، ــإن لم يكن استحالةًــ، في تقبل ظاهرة أكل لحوم البشر مَثَلاً [11].

وللأنثروبولوجيا دور هام في تطوير ودعم احترام القيم الثقافية التي تبناها الآخرون، فضلاً عن مساعدتها إياهم في التكيف مع العلم الصناعي الحديث وبما يتفق مع مفهوماتهم لا مفهوماتنا.

ويوضح مفهوم النسبية الثقافية أن كثيرًا من العادات التي قد نرفضها بالنسبة لأنفسنا قد تمثّل قيمًا يجب أن تلقى احترامًا في ثقافة أخرى، وما دمنا قبلنا حق الناس في معتقداتهم الدينية فإن علينا أن نعدّ أنفسنا لقبول حق الناس في ثقافتهم.

ويشعر كثير من الأنثروبولوجيين الآن أن عليهم أن يكونوا أكثر حيويّةً ولباقةً في نشر وجهات النظر هذه، كذلك فإن علماء الأنثروبولوجيا يتحولون لإجراء أنواع جديدة من البحوث.

وقد يساء في يعض الأحيان فهم أو تطبيق مفهوم النسبية الثقافية، ولقد أدت صدمة اكتشاف أن السلوك الذي نعتبره سيئًا قد يلقى تسامحًا أو تأييدًا من جانب

ثقافات أخرى؛ أدت هذه الصدمة ببعض الدارسين غير الناقدين إلى الاعتقاد بأنهم يستطيعون تجاهل كل قواعد السلوك..

على أن وجهة النظر هذه لا تستند إلى مبررات قوية؛ ذلك أن الثقافات بها قواعد أخلاقية ذات جذور تاريخية عميقة، كما أن هناك مسوغات وظيفية تدعم وجودها داخل أي ثقافة، فيما يعد أمرًا سيئًا في ثقافة معيّنة قد يعد أمراُ طيبًا في ثقافة أخرى، والعكس صحيح؛ وذلك لنفس الأسباب على وجهة التحديد، أي أن القواعد تعد ضروريّةً لكي تتمكن الثقافة من أداء وظيفتها الحقة، ومن أجل التكيف الضروري للفرد مع بيئته، وعلى ذلك فإن احترام عادات الآخرين لا يعني أن هذه العادات تمارَس أيضًا ــوبنفس الدرجةــ في ثقافتنا.

وترتبط ثقافة الشعوب الأوروبيةــالأمريكية ارتباطًا قويًّا عميقًا بأصول يهوديةــيونانيةــمسيحية، وعلى الرغم من أن قيم هذه الأصول قد تعرضت لتغيّر بطيء عَبْر القرون إلا أن الفرد الذي ينتمي إلى الثقافة الغربية لا يستطيع تجاهلها.

وقد يكون صحيحًا أن كل قيمنا ليست شائعةً في الثقافات الأخرى، أو أن قيم الثقافات الأخرى قد تكون أفضل ــإلى حد ماــ من قيمنا، ولكن إلى أن يتم تطوير بعض المناهج العلمية الملائمة لدراسة القيم، فإنه يتعين علينا الإصرار ــإلى حد كبيرــ على مجرد وجود هذه القيم داخل ثقافة معيّنة.

إن احترام وجود ثقافة أخرى لا يعني أننا ننكر وجود ثقافتنا؛ فحينما نعترف بأن الشخص المسلم متمسك بثقافته يجب أن نعترف كذلك بأن الغربيين متمسكون بثقافتهم.

وفي نفس الوقت يجب ألاّ نغفل الاعتراف بأن القيم، ــشأنها شأن بقية عناصر الثقافةــ، تخضع للتغير، وأن قيم فترة سابقة في تاريخنا لا تحتل، ــبالضرورةــ، نفس أهميتها الآن.

وعلى ذلك فإن الأنثروبولوجيا في العالم الحديث تؤدي وظيفةً هامّةً هي مساعدتنا على فهم أنفسنا وثقافتنا؛ فمن خلال الدراسات المركزة التي أُجريت في ثقافات عديدة تعلمنا: أن كل الشعوب لديها قدرات متشابهة بوجه عام، وبالتالي فإنها تواجه نفس مشكلات العيش، إلا أن كل شعب يخضع داخل مجتمعه لظروف طبيعية مختلفة، وبالتالي يطور أساليب متنوعة لمواجهة مشكلاته.

وترتبط أساليب الحياة هذه ارتباطًا بالغ التعقيد بالكل الثقافي، ــوهو مجموعة الفنون والعادات والأعراف والمعتقدات والنظمــ؛ حيث تميّز كل مجموعة شعبًا معيّنًا، ومن خلال هذا الفهم تعلمنا أيضًا أن سلوكنا يخضع كذلك لتأثير الثقافة، وهي واحدة من المؤثرات العديدة، وكما عرفنا الكثير عن الثقافة، ــكيف تتكامل، ونموّها التاريخي والتطوري، وعمليات التغير الثقافي، والعلاقة المعقدة بين الثقافة وسلوك الفردــ، فإن الأنثروبولوجيا قد أصبحت تنطوي على أهمية متزايدة في فهم وتوجيه الشؤون الإنسانية [12].

ومن الطبيعي ألاّ تكون الأنثروبولوجيا هي العلم الاجتماعي الوحيد الذي يتناول السلوك الإنساني، كما أنها ليست ذلك العلم الذي يقدّم حلولاً لكل المشكلات الاجتماعية؛ إنها تقدّم، ــمن خلال تصورها الأساسي للثقافة والمقارنات الواسعة النطاق التي تعقدها بين ثقافات متنوعةــ، إطارًا متكاملاً يساعد كل العلوم الاجتماعية في تحليل وفهم حضارتنا البالغة التعقيد.

وقد تسهم الأنثروبولوجيا إسهامًا كبيرًا في إنجاز الهدف النهائي؛ وهو تحقيق نفس السيطرة على الظواهر الاجتماعية والثقافية؛ تلك السيطرة التي نملكها في مجال العلوم الطبيعية.

كما أن الأنثروبولوجيا قد تسهم، ــوهذا هو الأهمــ، في مشكلة استخدام تلك السيطرة العلمية لصالح الجنس البشري بأسره.

المبحث الثالث:

الأنثروبولوجيا والدين.. الالتقاء والاختلاف:

الإنسان محور الأديان، وهو الهدف من الرسالات السماوية، وهو الإنسان الذي من أجله خلق الله الكون، والأديان كرست علاقة الإنسان بالمجتمع والمجتمعات الأخرى، ولكن الأديان تميّزت بعلاقة روحية هي علاقة الإنسان الفرد بالله جل شأنه ثم علاقة المجتمع بأسره بالله..

ففي العهد القديم يحذر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن ينحرفوا عن طريق الله بقوله: إذا ولدتم أولادًا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض وصنعتم تمثالاً منحوتًا صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته، أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، أنكم تبيدون سريعًا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها لا تطيلون عليها، بل تهلكون لا محالة، ويبددكم الرب في الشعوب، فتبقون عددًا قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها[13].

كما تنبأ أرميا عن تدمير بيت المقدس وعن تشتيت إسرائيل بقوله: ويَعبر أمم كثيرة في هذه المدينة، ويقولون الواحد لصاحبه: لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها[14].

فالعلاقة السلوكية بين الشعب والأمم الأخرى ذات صلة وثيقة بسلوك الفرد الإسرائيلي، وهذا السلوك نفسه يرتبط بعلاقة روحية مع الله.

والشتات اليهودي ما هو إلا تعبير عن السلوك الشعبي لقبائل إسرائيل مع الله، كذلك فإن الشتات جعل اليهود يؤسسون طريقةً أخرى للحياة بين الأمم الذين تشتتوا فيها، غير ناسين أن الثقافة اليهودية امتزجت بالثقافات الأخرى.

كذلك طبع اليهودي بثقافته الخاصة، وخرج من هذا كله ما يمكن تسميته بـ"السلوك الإرهاصي"، أو ذلك الذي يتقوقع ويتوقع الشر من الغير، ويتوقع الغير الشر منه، لا على أساس المجتمع الإسرائيلي في الشتات، بل كذلك في علاقة اليهودي باليهودي، وعلاقة اليهودي بغير اليهودي.

وتداخلت العوامل الاقتصادية والفكرية والسياسية إلى جانب الدينية لتكون محور اهتمام الإنسان اليهودي الفرد، وهذا هو مصدر اهتمام الأنثروبولوجيا ومحور اهتمامها..

ومن ثَمّ يمكن القول إن الأنثروبولوجيا تفلسف جزءًا من الدين، وهو سلوك الفرد في المجتمع وثقافته التاريخية وصولاً إلى الثقافة المعاصرة.

وقد اهتمت الأنثروبولوجيا بالفعل بالمجتمعات الإسرائيلية في الشتات من منظور اجتماعي.

ولم يكن المسيح عليه السلام وديانته إلا جزءًا من التراث الفكري العبري، ولكنها طورت هذا الفكر، وجعلت محور المحبة للإنسان الصفة الأصلية لهذه الديانة، والإنسان هو ضرورة الوجود، ويجب أن يكون الجميع في خدمته، ليس ذلك وحسب؛ بل الهيكل ذاته يجب أن يكون في خدمة الإنسان..

يقول المسيح: ويل لكم أيها القادة العميان، القائلون: من حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم، أيها الجهال والعميان أيّما أعظم: الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم، أيها الجهال والعميان أيّما أعظم: القربان أم المذبح الذي يقدس القربان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله والجالس عليه[15].

ثم يقول: يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأمّا قلبه فمبتعد عني بعيدًا وباطلاً يعبدونني، وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس[16].

فالمسيح يؤكد على أن سلوك الإنسان يجب أن يكون على قدر الله الخالق، فابن الإنسان عليه مسؤولية إقامة علاقاته الاجتماعية مع الناس على أساس الصدق، وهي علاقة اجتماعية أسسها روحية، ومصادرها إنسانية، "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فتقولون: هوذا إنسان أكول، وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة، والحكمة تبررت من بنيها"[17].

وعندما حاوره بعض الفريسيين بمكر ليصطادوه بكلمه فقالوا له: يا معلن نعلم أنه صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد؛ لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا: ماذا تظن: أيجوز أن نعطي جزيةً لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراءون؟ أروني معاملة الجزية.. فقدموا له دينارًا، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالو له: لقيصر.. فقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله[18].

ويتضح من هذا الحوار سلوكيات بعض الشعب وسلوك المسيح نفسه، ويمكن القول بأن الثقافة كانت واضحةً في الشعب الذي خاطب المسيح، وهي ثقافة ترتبط بفكرة

الشعب المختار الذي ينتظر المخلِّص ملكًا من نسل داود، والعلاقة المحورية التي ترتبط في وجدانهم الذاتي هي اختيار الإله لشعب يؤثره على سائر الشعوب وأناس يؤثرهم على سائر الناس، ويسألون المسيح لإحراجه لا للمعرفة المجردة، والسؤال للربط بين المسيح وقيصر من ناحية أو بين الدين والسلطة، وكذلك الربط بين علاقة الفرد بالمجتمع كله (المسيح يمثله هنا) وعلاقة المجتمع ككل بالمجتمع الذي يمثله قيصر، وعلى هذا جاءت كلمات المسيح معبِّرةً عن تلك العلاقة التي ترتبط الروح فيها مع الجسد مع الغير: ينبغي أن أبشر المدن الأخرى أيضًا بملكوت الله؛ لأني لهذا قد أُرسلت.. فكان يكرز في مجامع الجليل[19].

وتبدو هنا العلاقة الأنثروبولوجية واضحةً؛ لأن الفرد المسيح يكرز (يبشر) بالملكوت في المدن الأخرى (المجتمع)، ثم علاقة هذه المدن بالملكوت.

وإن علم الأنثروبولوجيا الذي يبحث في ثقافة المجتمع التاريخية، ويقيس بها ثقافته المعاصرة، لجدير بأن يكون الدين أحد روافده؛ ذلك أن الناس يعيشون في مجموعات بشرية متباينة، كل مجموعة داخلها تتجانس من حيث تكوينها الثقافي، فالمجتمع اليهودي خلال فترة المسيح كان له أسلوب سلوك متميز. الدين له دور بارز إن لم يكن الأبرز في تلك المساحة الجغرافية التي تسكنها سلالة بشرية خاصة.

وتتضمن الثقافة المسيحية عددًا من أساليب السلوك التي اختلفت فيما بعد عن أساليب السلوك اليهودية وإن كان مصدرها السماوي واحدًا والبشري متعددًا.

ولكن في النهاية تبقى حقيقة الثقافة أحد اهتمامات علماء الأنثروبولوجيا؛ لأنهم في دراستهم للمجتمعات المسيحية التي دانت بعقيدة الصلب والفداء تميزت بموروثات ثقافية اعتمدت الصلب والفداء والخلاص مكونًا فكريًّا امتد أثره حتى الوقت الحاضر، ولكن

داخل هذا الكيان البشري المسيحي توجد مجتمعات تتحدث لغات مختلفة، وعلى جانب الثقافة المسيحية هناك روافد للثقافة الإغريقية الفلسفية، ومِن ثَمّ فعلم الأنثروبولوجيا عندما يقوم بدراسة مجتمع أوروبي مسيحي، فإنه يختلف عندما يدرس مجتمعًا شرقيًّا مسيحيًّا، وحسب كل مجتمع يستخدم المؤرخون كثيرًا مصطلح "ثقافة" للإشارة إلى بعض إنجازات خاصة في المجالات الفنية والفكرية.

ثم إن الثقافة تتضمن الحضارة أيضًا، والدين، ــأيُّ دينــ، هو في حد ذاته ثقافة، وثقافة شاملة للسلوك الفردي والجمعي، ولذلك فضرورة التمييز بين الأنثروبولوجيا والدين لا مكان لها، خاصة إذا تميز التطبيق الأنثروبولوجي بالإسهام المباشر في حل المشكلات المجتمعية من داخل منظور ديني، أو اعتُبر الدين أحد موروثات الحضارة البشرية في كل مكان من الأرض.

ويُعتبَر الإسلام الخطوة الأخيرة في حل مشكلات الفرد والمجتمع من خلفية اجتماعية دينية بحتة؛ فالفرد الإنسان هو محور اهتمام القرآن الكريم ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾[20].

ثم إن القرآن اعتبر الإنسان حاملاً لأمانة بشرية ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [21].

وعندما خلق الله الإنسان الأول (آدم) علمه العلوم أو بدايات العلوم، وترك لعقله المعرفي أن يتطور بتطور الزمن بناءً على قانون إلهي.

ويمكن قراءة السلوك الإنساني من منظور آيات القرآن الكريم؛ حيث جاءت لتنص أوّلاً على علاقة الإنسان بنفسه ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [22]، ﴿وأن ليس

للإنسان إلا ما سعى﴾ [23]، ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ [24]، ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[25]..

وهذه العلاقة الداخلية بين الإنسان ونفسه خرجت عن النطاق التطبيقي للعلم الأنثروبولوجي؛ لأنه يختص بسلوك الفرد مع غيره من الأفراد.

والقرآن الكريم تميّز بتوضيح العلاقة بين الفرد وغيره، واعتبر جملة الأفراد شعوبًا يجب أن تتعاون فيما بينها ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾[26]، فالتعارف والتواصل هدف إنساني مصدره إلهي؛ لأن مهمة التواص الفكري على الإنسان ككل ليس من أجل توحيد الجنس البشري، بل لتأكيد أن التمايز صفة أودعها الله في خلقه، وحذر من فصل عرى التواصل البشري ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخِر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[27].

وهذا الشمول الذي يؤكده القرآن الكريم يشمل النفس، فيجمع النفس والضمير، ويخاطب الإنسان روحًا وجسدًا وعقلاً وضميرًا[28]، فليس الإسلام دين أمة واحدة بعينها، ولا هو دين طبقة خاصة بذاتها، ولكنه دين الإنسانية كلها، ودين بني البشر جميعًا من كل جنس.

أمّا علاقة المجتمع المسلم بعضه ببعض: فقد حرص القرآن الكريم على ضرورة أن تكون الجماعة المؤمنة في علاقة وطيدة من أجل النموذج المثالي الكوني ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرَّقوا﴾ [29]، ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[30]، ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبِعوه﴾ [31].

ولم يترك القرآن المؤمنين على افتراض عدم نشوء خلاف بينهم قد يصل إلى حد النزاع المسلح، فدعا الأمة إلى حل هذا الخلاف في إطار الأخوة الإيمانية، ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتِلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾[32]، فالأخوة الإيمانية تمثّل في نظر القرآن الكريم إطار الوحدة الإسلامية؛ لأنها تعطي هذه الوحدة شكلها الاجتماعي؛ لأن الوحدة تتطلب إطارًا ثقافيًّا يمثّل الخلفية التي تضم إطار المجتمع، أي علاقة وسلوك الأفراد فيما بينهم وبين بعضهم، وتلك هي أبرز اهتمامات الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، ومحور علم الاجتماع.

والإسلام اعتمد العقل في حواراته مع الآخرين، سواء في الدعوة أو الحوار أو السلوك ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادِلْهم بالتي هي أحسن﴾[33]، ﴿لا إكراه في الدين﴾[34]، ودومًا ما يكرر القرآن الكريم كلمة ﴿لعلكم تعقلون﴾، الخطاب للجماعة المؤمنة أو لغيرها.

في نفس الاتجاه حرص القرآن على تأكيد التنمية لخدمة الرفاهية الإنسانية في نهاية الأمر، وهو نفس ما دعا إليه علماء الأنثروبولوجيا؛ لأنهم يعتقدون أن حل المشكلات البشرية تصل للبشرية في نهاية المطاف إلى الرفاهية الإنسانية[35]؛ لأن هذا العلم في نظرهم يعمل على رفع القيمة الإنسانية من خلال الفهم المتزايد لطبيعة الثقافة وكشف الزيف الذي تنطوي عليه النزعة العنصرية، وتحطيم الأساطير المتعلقة بالسلوك الإنساني، وهو نفس هدف الدين؛ لأن القرآن الكريم جاء ليحطم العنصرية ويدعو إلى المساواة التامة بين البشر، والأفضلية لا يمكن أن تتعلق بجنس أو لون أو عِرْق، والإسلام في حد ذاته دعوة إلى نبذ العنصرية.

والأنثروبولوجيا كذلك تعالج في دراساتها مراحل أعمار الفرد المختلفة من الطفولة حتى الشيخوخة، فنراها تؤكد على أن التربية في مرحلة الطفولة تؤثر سلبًا أو إيجابًا على تشكيل الشخصية، وتؤثر في التنشئة الاجتماعية.

وترتبط أول خطوة في عملية التعلم هذه بعلاقة الطفل بجماعته القريبة بالوالدين والإخوة والأقارب ثم العشيرة، ويتم غرس مظاهر السلوك في الذهن بشكل عمدي مقصود في كثير من الأحيان[36].

وكل ذلك يعود بالأساس إلى الثقافة المجتمعية، والتي تعود بدورها إلى الثقافة التاريخية.

والإسلام كتاب تربية، ويعمل على تربية الفرد تربيةً اجتماعيّةً وأخلاقيّةً روحيّةً، ويظل يغرس مفاهيم العدالة والسلوك القويم في نفوس أفراده، والذين يشكّلون المجتمع، واعتبر القدوة أول الطريق الصحيح لتربية النشء، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه قدوة لكل المجتمعات، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [37].

والقدوة للأطفال منهج تربوي من أهم وسائل التربية على اختلاف أنواعها وتعدد مناهجها وأشكالها.

ولم يكتف الإسلام بالتربية؛ بل جعل للطفل حقوقًا على الآباء، منها: تنشئته على الأخلاق القويمة، وإعطاؤه اسمًا جميلاً، وأن يعلمه القرآن الكريم والمعرفة، وألاّ يكون فظًّا غليظًا، وتعميق معنى الانتماء للوطن على أساس من العقيدة، ويساعد كل فرد فيها على الحفاظ على موروثاته الثقافية والاجتماعية[38].

وفهم المجتمع وحاجاته ورفاهيته من ضمن أسس الدين ومعاملاته، وهو المنهج الأنثروبولوجي الذي يعتمد في دراسته للمجتمع فهمه، ويجمع المواد الاجتماعية والثقافية

الخاصة بالمجتمع الذي يريد دراسته، ثم يقوم بوضع المشكلة ويعنونها، ثم يطرح أسئلةً عن أسباب المشكلة، ومن ثَمّ وضع دراسة عن كيفية علاج هذه المشكلة معتمدًا على ما امتلكه من مفهوم ثقافي عن هذا المجتمع.

ولكن الدين يضع المشكلات وحلولها ضمن إطار مستقبلي يخدم المجتمع والفرد والإنسانية جميعها من أجل التقدم والتنمية، ثم معرفة الله جل شأنه..

ولذلك فإنه يمكن القول بأن علم الأنثروبولوجيا جزء من منهج الدين رغم أنه لم يعط للدين من حق سوى أنه أحد المكونات الثقافية إلى جانب المكونات الأخرى، وهو بهذا لا يختلف عن باقي العلوم الاجتماعية الأخرى، والتي تتعرض للإنسان من زوايا مختلفة، والدين الإسلامي وحده هو الذي يتعرض لكل المشاكل ومن جميع الزوايا.

المصادر و المراجع:

[1]- د. محمد الجوهري – الأنثروبولوجيا – سلسلة علم الاجتماع المعاصر – القاهرة – 1986 – ص17.

[2]-المصدر نفسه – ص20.

[3]- المصدر نفسه – ص22.

[4]- Kroeber Alfred – The nature of Culture – University of Chicago Press – 1952 – p.36

[5]- الأنثروبولوجيا – مصدر سابق – ص38.

[6]- هيرودوت – هيرودوت يتحدث عن مصر – ج5 – ترجمة د. محمد صقر خفاجة – دار القلم – القاهرة – 1966 – ص218.

[7]- الأنثروبولوجيا – مصدر سابق – ص46.

[8]- المصدر نفسه – ص48.

[9]- المصدر نفسه – ص50.

[10]- المصدر نفسه.

[11]- Ruth Benedict – The Chrysanthemun and the Sword – boston – Houghton Miffline – 1946 – p.355

[12]- الأنثروبولوجيا – مصدر سابق – ص358.

[13]- تثنية 25/4 – 27.

[14]- أرميا 8/22 – 9.

[15]- متى 23/ 16 - 22.

[16]- متى 23/ 8 – 9.

[17]- لوقا 34/7 – 35.

[18]- متى 21/22.

[19]- لوقا 43/4 – 44.

[20]- سورة الإسراء – 70.

[21]- سورة الأحزاب – 72.

[22]- سورة القيامة – 14.

[23]- سورة النجم – 39.

[24]- سورة الإسراء – 13.

[25]- سورة الأنعام – 164.

[26]- سورة الحجرات - .13

[27]- سورة البقرة – 62.

[28]- عباس العقاد – الإسلام دعوة عالمية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1999 – ص172.

[29]- سورة آل عمران – 103.

[30]- سورة التوبة – 71.

[31]- سورة الأنعام- 153.

[32]- سورة الحجرات – 9.

[33]- سورة النحل – 125.

[34]- سورة البقرة – 256.

[35]- الأنثروبولوجيا – مصدر سابق – ص368.

[36]- المصدر نفسه – ص136.

[37]- سورة الأحزاب – 21.

[38]- د. عبد الحكم الصعيدي – تربية النشء في الإسلام – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – 2004 – ص89.